

الفصل الثالث

الحوار الزوجي

الفصل الثالث

الحوار الزوجي

المشكلة في الحياة الزوجية تكون في كثير من الأحيان من جهل كل من الزوجين بما ينفر الزوج الآخر منه أو بما هو سبب الغل والحقد والعداوة لدى الطرف الآخر نحوه، وهذا يعني أنه قبل كل شيء لا بد من جلسة أو أكثر بين الزوجين يستمع فيها كل منهما إلى الآخر استماع من يريد أن يفهم وجهة نظر الآخر ليرى: لعل الحق معه فيها، وليس استماع من يريد الدفاع عن نفسه ورد التهم عنها، وإثبات أنه ليس مخطئاً وأن كل الخطأ هو خطأ الطرف الآخر، إذ في هذه الحالة تنعدم المحاولة لفهم الطرف الآخر، وبالتالي يستحيل أن يفهم كل منهما الآخر، وبالمقابل فإن على كل من الزوجين عندما يحكي للآخر شكواه أن يتجنب لوم الآخر، وأن يتجنب اتهام الآخر، إذ الهدف من بث الشكوى إنما هو جعل الآخر يفهم معاناة الأول، ويدرك دوره فيها كي يغير من نفسه أو من سلوكه، حتى تنتهي هذه المعاناة، وليس الهدف محاكمة الطرف الآخر، ومعاقبته على ما ارتكبه من حق صاحب المعاناة ويتم ذلك بأن يقول صاحب الشكوى للآخر: عندما فعلت كذا كذا شعرت أنا بكذا وكذا، وهذا أسلوب يدقق التعبير عن المشكلة دون الاتهام واللوم للآخر، إذ الاتهام واللوم يجعل الآخر دفاعياً وليس مستمعاً يريد الفهم.

إن هذه المصارحة في إطار من الرحمة، كثيراً ما تحقق التغيير، فيقوم الطرف الآخر بتغيير ما يستطيع في نفسه كي يستعيد بعض إعجاب الزوج



الآخر به، ويقوم بتغيير سلوكه الذي كان يسيء فيه للطرف الآخر بوعي أو دون وعي.

أما ما لا يستطيع الطرف الآخر تغييره في نفسه من طباع مثلاً، فلا بد فيه للطرف الأول من التقبل لهذه الطباع التي لا يحبها في زوجها، ولا بد من تقبل العيوب الخلقية الجسدية التي من العسير أو من المستحيل تغييرها، فالتقبل يمهّد الطريق للحب، والحب يؤدي إلى مزيد من التقبل.

وتبقى لدينا مشاعر الغيظ المتراكم في النفس بسبب إساءات سبقت ومضت، فتحولت إلى حقد وغل وعداوة، وبخاصة أن المرء تجنب في عملية المصارحة توجيه اللوم والالتهام للطرف الآخر، إن هذه المشاعر الدفينة في النفس لا تذهب ولا تزول وحدها، ولا يستطيع الزمن وحده أن يمحوها من النفس، قد تتمكن النفس من إزاحتها عن دائرة الشعور لكنها لن تتمكن من النجاة من تأثيرها في مشاعرها وعواطفها، ومهما خباها الإنسان فستبقى جداراً يحول بين المرء وحب الزوج الآخر حتى تزول ويشفى صدره منها.

* وللشفاء من هذه المشاعر طريقتان:

- الأولى: هي الانتقام والعقوبة التي تحقق العدل فتريح النفس، وتزيل منها مشاعر الغيظ والحقد والعداوة المتراكمة، وواضح أنه لا مجال لمثل هذه الطريقة في حياة زوجية نسعى إلى إعادة المودة والرحمة إليها.

- أما الطريقة الأخرى: فهي المسامحة والعفو والغفران من أعماق القلب، لا المسامحة بالعقل واللسان فقط، وحتى تكون المسامحة والعفو من أعماق القلب لا بد أن يتذكر الإنسان أنه هو المستفيد الأول منها، وأن

الله يعوضه عما لقي من الإساءات، لأن الله دعانا إلى المغفرة، ووعدنا بالثواب عليها، من أجل أن تتخلص نفوس المسلمين من مشاعر مزعجة للنفس، فيكون بذلك عفو وغفروا وسامحوا، إنها مسامحة في سبيل الله ترضي الله وتريح النفس، ولا خلاف في أن الزوج أو الزوجة أولى بها من الكفار أو الغرباء، ذلك أن الأقربين أولى بالمعروف.

إن التصرف المثالي عندما نتلقى إساءة ممن نحب هو كظم غيظنا الذي لا بد أن يثور في نفوسنا، لكن هذا الغيظ لو بقي فيها فإنه يتراكم ويتحول إلى غل وحقد، وقد ننساه لكنه باق في النفس ليحول بيننا وبين حبنا للزوج أو الزوجة، لذا لا بد أن يتبع كظم الغيظ عفو عن الإساءة وذلك بعد مرور بعض الوقت وهدوء النفس والمشاعر، والمرحلة الأرقى والفعالة جداً في التأثير في الزوج (أو الزوجة) الذي أساء، هي الدفع بالتتي هي أحسن أي الإحسان إليه بإخلاص ومن القلب رغم إساءته وهذا مستحيل ما لم يسبقه العفو والمسامحة ولذا امتدح الله المتقين بقوله ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ (آل عمران ١٣٣-١٣٤).

إذاً (والكاظمين الغيظ) وبعد كظم الغيظ (والعافين عن الناس) وبعد العفو دعوة إلى الإحسان إلى المسيء، أي: إلى الدفع بالتتي هي أحسن (والله يحب المحسنين) وليس أولى من الزوج والزوجة بهذه المعاملة، وإذا قدرنا عليها عاد الحب إلى الحياة الزوجية بعد غياب.

وحتى يكون العفو والمسامحة من أعماق القلب يحتاج الإنسان إلى تكرار هذا العفو بلسانه وفي غياب الطرف المسيء مراراً وتكراراً، إذ التكرار باللسان



مع محاولة الشعور بما يقوله اللسان يجعل الأمر يصل إلى أعماق القلب ليظهره
مما فيه.